



الغنوصية والنزعة الصوفية والإشراقية

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الطالبة/ فاطمة جمال محمد الجرجاوي

معيد ومسجل بالدراسات العليا بقسم الفلسفة

كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي

أ.د. صابر عبده أبا زيد

أستاذ بقسم الفلسفة

كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي

د. محمد أبو المجد محمد قناوي

أستاذ مساعد بقسم الفلسفة

كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2025.352370.2148

مجلة كلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادي - المجلد (٣٤) العدد (٦٨) يوليو ٢٠٢٥

ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة

ISSN: 1110-709X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية

<https://qarts.journals.ekb.eg>

موقع المجلة الإلكتروني:

الغنوصية والنزعة الصوفية والإشراقية

الملخص:

سبقت الغنوصية التصوف الإسلامي الذي ظهر في القرنين الثالث والرابع الهجريين، حيث ظهرت عند الإغريق في القرنين الثاني أو الثالث قبل الميلاد، ثم تطورت بعد ظهور المسيحية التي واجهتها لأنها عملت على تحريفها في الزرادشتية أو البوذية اللتين نشأتا في بلاد فارس والهند، وهي خليط فكري ديني فلسفي تشكل من المسيحية واليهودية والبوذية والزرادشتية، ثم انتقلت إلى الإسلام بمسمى التصوف والغنوصية التي هي في حقيقتها مذهب باطني يرى أن الإنسان كلما تعمق بالروح تمكن من المعرفة واكتشفها وامتلكها وكلما قوي العرفان عرفت أسرار الكون والحياة.

هذه الشرارة الإلهية العرفانية والمعرفة اللتين تغنيهم عن كل شيء فهم فهموا وعرفوا أسرار الكون وهم يعتبرون الماسونية الذين امتلكت مقدرات الكون سواء الفلك أو الاقتصاد والعلم وتحكمت بالعالم استمرار للغنوصية وإحدى تجلياتها، ويرى عبد الرحمن بدوي أن هؤلاء يؤمنون بأن الإنسان الغنوصي عندما يصل إلى هذا المستوى من المعرفة لم يعد بحاجة إلى شيء فهو قادر على النجاة بنفسه من كل شيء وهذا ما يفسر عزلتهم عن المجتمع وترفعهم عن المحسوسات فهو غير محتاج للبشر وإنما إلى روحه فقط وهذا لا يعني كل المتصوفة بل عدد قليل منهم أو غلاتهم. هو بهذا المعنى لم يعد بحاجة للإله ولمن يقوده، والتصوف بالتعريف هو الانتقال من العالم الحسي المادي إلى العالم الروحاني، ووحدة الوجود تعني أن الإنسان يملك من العقل ما يجعله يمتلك قوة الإله، فالفرد والله وجهان لعملة واحدة لإنسان بقواه الذاتية والداخلية قادر على تغيير كل شيء بحسب زعمهم ولذلك التصوف الإسلامي ارتبط بالظروف الصعبة التي عاشها المسلمون في القرن الثاني الهجري من صراعات وحروب وتشتت أي واقع مادي حسي قاس هو

الذي أدى للحاجة للهروب إلى العالم الروحاني، ولعل الوصول إلى هذا المستوى من الهروب من الواقع إلى الحلم والغيب هو ما أدى إلى ردة فعل عكسية ساهمت في ظهور المعتزلة كرد فعل عقلاني على التصوف الروحي والاحتكام إلى العقل.

الكلمات المفتاحية: الغنوصية، الإشراق، الإسلام، التصوف، العرفان

مقدمة:

انتشرت حركة التصوف في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقاً مميزة متنوعة معروفة باسم الطرق الصوفية ، تعددت الأقوال في الأصل اللغوي لكلمة الصوفية، فمنهم من قال إنها ليست عربية، ذكر القشيري في كتابه الرسالة: «أنه ليس لهذا الاسم أصل في اللغة العربية»، وقد أرجعها الباحثون والمؤرخون المختصون في علوم الديانات القديمة، إلى أصل يوناني، هو كلمة: (سوفيا)، ومعناها الحكمة. وأول من عرف بهذا الرأي: البيروني، وذكر محمد جميل غازي، الذي قال: «الصوفية كما نعلم اسم يوناني قديم مأخوذ من الحكمة (صوفيا) وليس كما يقولون إنه مأخوذ من الصوف . الصوفية ويرى أن الصوفية علم وعمل علمهم يأخذ من الكتب وأنهم كانوا يصلون إلى مبتغاهم عن طريق الذوق والحال وتبدل الصفات وليس العلم فقط.

كان الغزالي يعمق الكلام في معرفة الصوفية على نحو لم يسبق له مثيل وقد حمله على مذاهب كل فلاسفة المعتزلة(*) والباطنية(*) .

التصوف لم يوفق إلا في المرحلة النضوج له التي تبدأ من القرن الثالث الهجري وما بعده أما باقي المراحل لم يوفق نظراً إلى تعمقه في الدين وذلك بهدف ترقى النفس البشرية

(*) المعتزلة: هو اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، سلكت منهج عقلي متطرف في البحث العقائد الإسلامية، ينظر: (عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولها الخمسة وموقف أهل السنة منها، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٢ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٣، ١٤)

(*) الباطنية: تعني الباطن هو اسم من أسماء الله عز وجل ولغة يعنى به المتحجب عن الأنصار الحائق والأوهام، ينظر: محمد أحمد خطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ط ١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٩.

إلى الكمال وتكون لها حقيقة مطلقة ولجوئهم إلى الفلسفة باعتمادهم على منهج الذوق ذو العقل. لتعبير عن أحوالهم ضمن مصطلحات وألفاظ.

ويقصد بالتصوف الفلسفي هو ذلك التصوف الذي اختلط بالفلسفات القديمة حتى غلبت على الأفكار الفلسفية كالفلسفة الإشتراكية والزرادشتية، ودخل إليه الشك أيضاً عن طريق تأثره بالفلسفة اليونانية (الأفلاطونية الحديثة)، وحتى الرومانية والفارسية (١) فالتصوف ينبغي أن تتوفر فيه جميع ما ذكر من زهد وإخلاص ومجاهدة وخلق كريم وتسليم لرب العالمين والتزام بشرعه إلى غير ذلك، ومنه ضرورة الالتزام بالعبادة الدائمة والابتعاد قطعاً عن كل ما حرمه الشرع من بدع وضلالات وأفكار باطلة (٢). أما الأرجح من تلك الأقوال والتعاريف هو تعريف ابن خلدون للتصوف لأنه ذو دلالة واضحة على معاني التصوف وأحوالهم واهتماماتهم: "العكوف والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق والخلو للعبادة" (٣). ومن أبرز أعلام هذا النوع من التصوف: الحلاج، وابن عربي، وابن الفارض، شهاب الدين السهروردي وابن سبعين المرسى.

- أهداف وأهمية البحث، وهي كالاتي:

تدور أهداف البحث حول التوصل إلى حقيقة مفادها أن الغنوصية : متى بدأت؟ وهل كانت فكرًا أم عقيدة ؟ وكيف انتشرت في الأرجاء الإسلامية ؟ ما العوامل التي

(١) بهاء حسين سليمان زعرب، المرجع السابق، ص ٣٠.

(٢) محمود يوسف الشويكي، المرجع السابق، ص ١٦.

(٣) عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ/

١٩٨٤م، ص ٤٦٧.

ساعدت على انتشارها ؟ كما أننا نحاول الإجابة على تساؤل مهم: ألا وهو ما مدى تأثير "الغنوصية" كفكرة أو تيار ديني على المذاهب الدينية المعاصرة؟

٢- إشكالية البحث:

تدور إشكالية البحث حول الديانات القديمة، وما تحمل بداخلها الأفكار التي حوت بعضًا من الأساطير والديانات الوثنية، التي كانت وليدة عقل بدأ يشع بظهور فكر فلسفي رشيد، ولا شك أن بعض هذه الأفكار حملت بداخلها الخرافات التي ملئت في ثناياها بملامح الشك، ومن هنا جاءت إشكالية البحث و تخص الديانة الغنوصية، من حيث كونها عقيدة قديمة، توغلت في جل الديانات والمعتقدات والمذاهب الفكرية السماوية منها والوثنية وباتت محل نظر واهتمام، فهل هي ديانة حملت بالأفكار والمعتقدات التي احتاج العقل الإنساني إليها في بداية حياته الإنسانية لكي يفهم من خلالها تفسيرات احتاج العقل إليها ليفهم الكون الفسيح ؟، وهل روت بأفكارها العقول المتعطشة آنذاك ؟ وكيف بدأت وانتشرت ؟

- تساؤلات البحث :

- ١- ما المذاهب والفلسفات القديمة التي تكونت منها الغنوصية؟
- ٢- ما أوجه التشابه بين الأفكار الغنوصية والفلسفة اليونانية والفارسية القديمة؟
- ٣- كيف انتشرت المعتقدات الغنوصية إلى العالم الإسلامي وتأثير تلك المعتقدات على الثقافات المشرقية؟
- ٤- كيف دعمت الغنوصية المذاهب الإشرافية عند المتصوفة؟

المنهج المستخدم في البحث:

هو المنهج التحليلي النقدي المقارن ، المنهج التحليلي وجدته ملائمًا لتحليل الفكرة ذاتها، ومحاولة استنباطها من الفلسفات والمعتقدات الدينية القديمة ، ونقدي لكي

نكون وجهة نظر خاصة حول موضوع البحث ، والمقارن لعقد مقارنة بين تلك الأفكار، والمعتقدات، والصراعات التي نشأت في كل العصور نتيجة هذا المعتقد.

الدراسات السابقة:

دراسة رضا سالم داود: الأقلية الأيزيدية في العراق ،(بحث في الجغرافية السياسية)،الجامعة العراقية – كلية الآداب

أولاً : الفكر الغنوصي عند المتصوفين الأوائل:

اختلف الباحثون حول اسم كلمة التصوف، ويؤكد غالبية مؤرخي التصوف أن اللفظ نفسه لم يكن متداولاً قبل الإسلام وحتى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن لفظ الصحابي هو اللفظ المتعارف عليه وقتذاك، " السراج الطوسي" صاحب اللمع هو المؤرخ الوحيد الذي يؤكد أن لفظ (صوفي) لفظ قديم عرف قبل عصر الإسلام وقد عرف لفظ التابع في الجيل الثاني، فالتابعون كانوا أسمى منزلة بين المؤمنين لشدة تقواهم وعمق إيمانهم وربما عرف لفظ الصوفي في النصف الثاني في القرن الثاني للهجرة ،الثامن الميلادي وربما أطلق لأول مرة على الكيميائي "جابر بن حيان" الذي سكن الكوفة واعتنق مذهب الشيعة وكان أيضاً على علم بمبادئ وعادات الهرامسة ويزاول الكيمياء السحرية(٤).

التصوف اسم طارئ على الإسلام ناشئ في الملة حادث فيها هكذا قال "النشار" في كتابه نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام في الجزء الثالث (التصوف) ولكن هل كانت تساوي فكرة التصوف الحياة الروحية في الإسلام(٥)، وذكر في «كشف الظنون» أن

(٤) مارجریت سمیث، التصوف في الشرق الأدنى والأوسط.

(٥) النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ٣ ص ٢٩.

أول من سمي بالصوفي «أبو هاشم الصوفي، وهو اتجاه أخلاقي يربط التصوف بالسلوك والأخلاق، يقول البعض في تعريف التصوف: «الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني» وأيضاً «التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء". بعض الباحثون يرون أن للرهبنة المسيحية أثرها في نشأة الزهد الذي بدا بدوره إلى ظهور التصوف الإسلامي وقالوا إن المسلمون قلدوا الرهبان الذين كانوا على علاقة وطيدة بالعرب قبل مجيء الإسلام وأن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة أنفسهم (٦)، ولكن إن دل ذلك لا يدل على تأثير الرهبنة علي الإسلام وظهور التصوف بل يؤكد تعاطف وكرم والروح السمحة الطيبة التي أتى بها الدين الإسلامي. ومن وجهة النظر السنية، يرى بعض الناس أن أصل التصوف هو الرهبنة البوذية، والكهانة المسيحية، والشعوذة فقالوا: هناك تصوف بوذي وهندي ومسيحي وفارسي. بينما يرفض الصوفية المسلمون تلك النسبة ويقولون بأن التصوف ما هو إلا التطبيق العملي للإسلام، وأنه ليس هناك إلا التصوف الإسلامي فحسب وقال آخرون أن الصوفية نسبة للصوف وذلك ما رجع إليه بعض العلماء والفقهاء منهم ابن تيمية والسهورودي وابن خلدون وغيرهم من صحة هذه النسبة:

أن الصوف لباس الأنبياء والصحابة والتابعين والصوفية المتقدمين.

أن لبس الصوف هو أقرب للتواضع والخمول والذل.

الأرجح من هذه الأقوال أن أصل ونسب التصوف والصوفية هو الصوف لأن الحكم بالظاهر وتصح اللغة فيه وأن أقوال الإمام القشيري قريبة من نسب لأنه صوفي بالدرجة أولى وعارف لشؤونهم وأحوالهم(٧).

(٦) المرجع السابق، ص ٦٥.

(٧) محمود يوسف الشوبكى، المرجع السابق، ص ١٠.

بعد تقديمنا لتعريف كلمة التصوف من الناحية اللغوية، نسعى أن نقدم لها تعريفاً من الجانب الاصطلاحي، فهناك تعريفات كثيرة وعديدة، كما ذكر كل من "السهروردي" أن أقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد عن ألف قول، ويرجع سبب كثرة هذه الأقوال إلى الصوفية في حد ذاتهم لأن كل واحد منهم يعبر بما وقع له، فهناك من عبر عن التصوف بالأحوال وهناك من عبر عنه بالمقامات والآخر بالبدايات والآخر عبر بالمجاهدات أو المذاقات. وكذلك بالنظر إلى أهم الجوانب التي يركز عليها التصوف سواء إلى الطريقة أو الخلق أو الغاية (٨).

أما الأرجح من تلك الأقوال والتعاريف هو تعريف "ابن خلدون" للتصوف لأنه ذو دلالة واضحة على معاني التصوف وأحوالهم واهتماماتهم: "العكوف والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق والخلوة للعبادة" (٩).

ويوضح الغزالي طريق الصوفية في المعرفة فيقول: فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة، بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتتويره بأنواه العلم، وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب، وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت، وانقشع عن القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلاأت فيه حقائق الأمور

(٨) محمد عقيل بن علي المهدي، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الحديث، القاهرة، ص ٦٢-٦٣.

(٩) عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤١٩هـ/

١٩٨٤م، ص ٤٦٧.

الإلهية، فليس على العبد إلا بالاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله من الرحمة". ومن هذا النص يمكننا أن نستخلص سمة المعرفة، من حيث أنها تتصل بالتجربة وبالسلوك العلمي أكثر من اتصالها بالفكر والنظر إذ أنها تقوم على التجربة التي يخوضها الصوفي، ومعاناته لتلك التجربة، وهذا هو الدور الإيجابي للصوفي، ثم يحل عليه الفضل الإلهي ليريه الله ما شاء له أن يريه، وهذا المنهج يعرف عند الصوفية منهج الكشف والإلهام وهو منهج ذوقي، وإدراك مباشر يختلف عن الإدراك الحسي المباشر، والإدراك العقلي المباشر، لقد خضع التصوف الباطني أو التصوف الفلسفي بصفة خاصة للكثير من المؤثرات الأجنبية وهذا الاتجاه الذي اتجه نحو الفكر الباطني في معاني الحلول والاتحاد والوحدة نجده عند الحلاج، ابن مسرة، السهروردي، ابن سبعين.

إبراهيم بن أدهم (ت ١٦١هـ)^(١٠):

أبو اسحق إبراهيم بن أدهم البلخي^(١١)، أفقه أهل عصره، أحب الجانب العملي في التصوف عن النظري، اصطحب سفيان الثوري، والفضيل بن عياض وكان يأكل من عمل يده، وكان يقول دائماً "اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عن طاعتك"^(١٢)، ومن أقواله:

وأيتمت العيالي لكي أراكا

تركك الخلق طرا في رضاكا

لما حث الفؤاد إلى سواكا^(١٣).

فلو قطعتني في الحب إربا

(١٠) إبراهيم ابن أدهم: ابن عربي، ابن طفيل، عبد الكريم الجيلي وغيرهم.

(١١) شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ج ١، ص ٢٥٥.

(١٢) الرسالة القشيرية، ص ٥٢.

(١٣) محمد علي أبو ريان، الحركة الصوفية في الإسلام، ص ١٥.

وهذه العقبات الست هي جهاد النفس حتى يصل الإنسان أو السالك إلى درجة الصالحين وهي:

- ١- أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة.
- ٢- أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل.
- ٣- أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد.
- ٤- أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر.
- ٥- أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر.
- ٦- أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت.

الفكرة الغنوصية عند إبراهيم بن أدهم تحولت عن طريق الأبواب السبعة التي لا يفتح للنفس وهي سائدة في طريقها إلى الخلاص وذلك لن يحدث إلا إذا حصلت المعرفة أو العلم اللدني واجتازت الحراس القائمين على هذه الحراس القائمين على هذه الأبواب واحدًا واحدًا وكلمة حراس استعملت استعمالاً مجازياً للدلالة على شهوات النفس، الهوى، الجسدي، ونحوها، ويقول " نيكلسون " وليس عندي من شك في أن مذهب الغنوص بعدها إصابة من التغيير والتحوير على أيدي مفكري اليهودية والمسيحية وبعض النظريات اليونانية كان من المصادر الهامة التي أخذ عنها رجال التصوف الإسلامي " (١٤).

غير أنه إذا كان يُنظر إلى المذهب الشيعي الإسلامي الباطني على هذا النحو، فمن الطبيعي أنه لا ينفصل عن الصوفية. فعلى سبيل المثال، يلعب أئمة الشيعة دوراً أساسياً في الصوفية، لكن باعتبارهم ممثلين للباطنية الإسلامية وليس على وجه التحديد بوصفهم أئمة شيعة، بحسب التنظيم اللاحق للشيعة. وفي الواقع، يميل المؤرخون المسلمون الجدد والباحثون المعاصرون إلى البحث عن الفروق الواضحة في القرنين الأولين التي لم تنشأ

(١٤) نيكلسون: في التصوف الإسلامي ص ١٧-١٨.

إلا في وقت لاحق . ومن المؤكد أنه يصعب الحكم في بعض الحالات على ما إذا كان مؤلف معيّن شيعياً أو سنياً، خاصةً قبل القرن الرابع، رغم أن الحياتين الدينية والروحية كان لهما عطر ولون خاص بهما حتى في تلك الفترة. ولا يمكن العثور على مثال أفضل من شخصية علي بن أبي طالب. يمكن تسمية المذهب الشيعي بـ «إسلام علي»، حيث يمثل علي السلطة «الروحية» والسلطة «الزمنية» بعد النبي صلي الله عليه وسلم كما أنه في المذهب السني، تعود جميع التعاليم الصوفية تقريباً إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ويشير الحديث الشهير «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» إشارة مباشرة إلى دور علي في الباطنية الإسلامية، وهو الأمر الذي تقبله الشيعة والسنة على حدّ سواء، ولكن فكرة «ال خليفة الروحي» التي يُوسَم بها علي لا توجد عند الصوفية في العالم السني على وجه التحديد مثلما هو الأمر عند الشيعة، فهؤلاء يعتبرونه رمزاً صوفياً مرتبطاً مباشرة بالباطنية الإسلامية نفسه.

التصوف الفلسفي:

يعتبر هذا النوع من التصوف بمثابة شكل آخر من أشكال التصوف يختلف من ناحية الجوهر عن سابقيه كما أنه لا يستمد أفكاره من القرآن والسنة كما هو التصوف السني بل استمدها من الكتب الفلسفية.

ويقصد بالتصوف الفلسفي هو ذلك التصوف الذي اختلط بالفلسفات القديمة حتى غلبت على الأفكار الفلسفية كالفلسفة الاستشراقية والزرادشتية، ودخل إليه الشك أيضاً عن طريق تأثره بالفلسفة اليونانية (الأفلاطونية الحديثة)، وحتى الرومانية والفارسية^(١٥).

(١٥) بهاء حسين سليمان زعرب، المرجع السابق، ص ٣٠.

وقد نشأ هذا النوع من التصوف عن اهتمام الصوفية بعلوم المكاشفة التماساً لمعرفة الله واكتساب علومه والوقوف على حكمته وأسراره والاطلاع على حقائق والموجودات، فظهرت منذ القرن الثالث الهجري، والتاسع الميلادي عدة نظريات صوفية فلسفية تباينت في كيفية الوصول إلى الأهداف^(١٦).

وأصحاب هذا النوع من التصوف قد تحلّو من الشريعة الإسلامية ووقعوا في جاهلية عمياء تمثلت في الابتعاد عن الله والإرشاد وانقطعوا لاستقبال الهبات والنذور من جهلة القوم^(١٧).

وقد تمثلت معظم أفكارهم في وحدة الوجود، والحلول والاتحاد والاعتماد على العلوم الكشفية. ولهذا لقي هذا النوع معارضة شديدة من العلماء والأئمة نذكر منهم^(١٨).

ابن تيمية في مجموع فتاوى يقول: "وأقوال هؤلاء شر من أقوال النصارى وفيها من تناقض من جنس ما في أقوال النصارى لهذا يقولون بالحلول تارة وبالاتحاد تارة وبالوحدة تارة أخرى فإن مذهبهم متناقض مع نفسه". ومن أبرز أعلام هذا النوع من التصوف:

لا يمكن مطلقاً أن نجعل من الباطنية والتصوف الإسلامي مصطلحين قابلين للتبادل منذ أن بدأنا نعلم أنه بفضل أعمال "هنري كوربان" خصوصاً توجد الصوفية الإسلامية والعرفانية الإسماعيلية والإمامية التي لا تعتبر نفسها صوفية. على الرغم من ذلك فإن ما يقال هنا عن التصوف بدايات تتوافق تماماً مع هذه الصوفية أو مع

(١٦) ابن خلدون، شفاء السائل، المصدر السابق، ص ٥٠.

(١٧) محمود الشوبكي، المرجع السابق، ص ٧٠.

(١٨) بهاء حسين سليمان زعرب، المرجع السابق، ص ٣١، ٣٢.

العرفانية غير الصوفية التي لها أصلها في تعاليم النبي وبعض من صحابته، وبالضبط علي بن أبي طالب

القرن العاشر نرى هذه الظاهرة توسعت في فترة ذروة الصوفية في إيران، حيث إنها دخلت على المستوى الرسمي في الدولة، فدخلت الظاهرة في مرحلة متقدمة جداً، وهؤلاء الصوفية كانوا أتباعاً للشيخ صفي الدين الأربيلي وهو شافعي فقهاً وأشعري كلاماً، والطريقة الصوفية المتبعة في زمانه أصبحت أقوى طريقة في إيران، بل انتشرت جداً حتى في العراق والشام ظهرت الصوفية بقوة في مرحلة أحفاد صفي الدين، وأيضاً في نفس الوقت وفي نفس هذه المرحلة بدأت الصوفية تقترب شيئاً فشيئاً إلى الفكر الشيعي

العلماء الإيرانيون آنذاك المتمسكون بالصوفية قالوا بأننا لسنا من الصوفية، بل نحن من العرفاء حتى يتجنبوا الاصطدام بأولئك العلماء، ومن هنا بدأ مصطلح العرفان بالظهور في الأوساط العلمانية الشيعية. العلماء المؤيدون للصوفية قاموا بتثبيت بعض المطالب الصوفية، وادعوا بأن المطالب العرفانية مستقاة من فكر أهل البيت لا من الفكر الصوفي. إلى أن نصل إلى زماننا هذا ونحن في الحقيقة نتنفس في الخطاب الصوفي أي تلك المسائل التي كانت عالقة في أذهان الناس في الحقبة الصوفية ما زالت موجودة.

إن قلة من الناس من يستطيع أن يفرق بين "الشيعية الصوفية" و"الشيعية المتصوفة" و"الصوفية الزاهدة" ذات التوجه السني في الأصل، كتب كثير من العلماء والباحثين عن التصوف، وكتب آخرون عن الصلة بين التصوف والتشيع، مبينين التشابه العقدي والمنهجي بينهما؛ كالتشابه بين عقيدة الولاية عند الصوفية والإمامة عند الشيعية، وعقيدة العصمة للإمام عند الشيعية وعقيدة الحفظ للولي عند الصوفية، والتأويل

الباطني عند الشيعة الباطنية والتأويل الباطني أو الرمزي أو الإشاري عند الصوفية، وتقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة عند الصوفية كتقسيم الدين إلى تنزيل وتأويل عند الشيعة البنية الكاملة للشيعة من حيث مظهرها الباطني أو حتى من حيث مظهرها الخارجي الباطنية، أو العرفانية الإسلامية، تبلورت في شكل الصوفية في العالم السني، بينما كانت تتجلى في البنية الشيعية، خاصة خلال عصرها الأول.

نشأة التصوف وتطوره:

لقد تنوعت آراء الباحثين والمفكرين والمؤرخين في تحديد البداية الأولى لظاهرة التصوف ويرجع هذا كله لانتشار وتشابه الأفكار بما قبله من الأديان والمذاهب الجاهلية، ومنهم من أرجعها إلى عصور ما قبل الإسلام ومن هؤلاء أبا نصر السراج(*) في كتابه "اللمع".

هناك من يدافع عن التصوف ويصر على أنه مصدر إسلامي وأنه مأخوذ من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا مصدر غيرهما، وبعضهم زعم أنه بداية التصوف مع نزول جبريل بالوحي على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أما البعض الآخر يجعل النبي صلى الله عليه وسلم أول زاهداً، ومنهم من يرجع كبار الصحابة من الصوفية مثل أبي بكر وعثمان وعمر رضي الله عنهم.

(*) أبا نصر السراج: هو أبا نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي الملق بطاووس الفقراء وصاحب "كتاب اللمع" في التصوف كان زاهداً، توفي سنة ٣٧٨ هـ ينظر: (كتاب اللمع لأبي نصر السراج الطوسي، تحقيق: عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور مطبعة السعادة، دار الكتب الحديثة، مصر، ص ١٢).

ومن الباحثين من يقول إن مصدر التصوف يخیل إعادته للإسلام وله عدة مصادر أجنبية منحرف، وآخرون يقولون إن التصوف أخذ الأساس الأول له من سلوك الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الذين أخذوا على أنفسهم بالعبادة والزهد والنقشف مجاهدة في النفس^(١٩).

أما البعض يقول وجود التصوف مع وجود الإنسانية لأن الإنسان في حد ذاته طموح ومحب للاستطلاع والتشوف للأمور الغيبية، ما دام ذلك فطرة في بعض الطبائع^(٢٠).

في حين نجد الغالبية حددته بين القرنين الثاني والثالث هجري، ونذكر من هؤلاء الملقب بشيخ الإسلام "ابن تيميه"^(*) الذي حدد نشأة التصوف أوائل القرن الثاني للهجرة في "مجموعة فتاوى". رغم كل هذه التحديدات، لم يظهر التصوف ويشتهر إلا بعد القرن الثالث هجري، وإن أول ما ظهر في البصرة^(*) في هذا الصدد يرى "ابن الجوزي" في كتابه "تلبیس إبلیس" إن نشأة التصوف كانت قبل مائتين في قوله "كانت النسبة في

(١٩) فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهید، نشأة بدع الصوفية، بدون طبعة، دار الغراس للنشر والتوزيع، ص ٧.

(٢٠) عبد الحليم محمود، قضية التصوف (المنقذ من الضلال)، دار المعارف، القاهرة، طه، ص ١٠٣.
(*) ابن تيمية: هو أحمد تقي الدين أبو العباس بن الشيخ شهاب الدين المحاسن عبد الحليم بن الشيخ مجد الدين أبي البركات الملقب بشيخ الإسلام، ولد ١٠ ربيع أول ٦٦١ هـ بمدينة حران وعرفت أسرته باسم أسرة ابن تيمية كان حافظاً وعالماً وفقهه توفي ٧٢٨ هـ شوال. ينظر: عبد الرحمن البخلاوي، أعلام التربية في تاريخ الإسلامى (ابن تيمية)، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط ١ ص ١١ : ٢١.

(*) البصري: يوجد بصرتان وهما يعرفان باسم بصرتان الأولى البصرة العظمى بالعراق والثانية بالمغرب وهى كذلك الأرض الغليضة التى فيها الحجارة والبصرة العظمى تقع في الاقليم الثالث ينظر: (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت الحموي الرومى البغدادى، معجم البلدان، المجلد الأول، دار الصادر، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م، ص ٤٣٠).

زمن الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان والإسلام فيقال مسلم، مؤمن، محدث اسم زاهد وعابد ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة انفردوا بها وأخلاقاً تخلقوا بها، ثم قال "وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين" (٢١) .

من المفيد تحديد العناصر الأجنبية التي استطاعت الالتصاق به والانتشار فيه. وهكذا أمكن العثور أخيراً على عناصر تقوية عدة مستمدة من متخصصين في دراسة التصوف الإسلامي كالمستشرق ارنولد توماس نيكلسون، الذي ذكر: بعد السنة الألف للميلاد بدأ التصوف يمتص الفلسفة اليونانية ويتشربها، فالدلائل التي توفرت حتى الآن تدلنا على أن أصولها قد تأثرت بالزهد المسيحي والتصوف اليوناني أما دي لاسي أوليري، فإنه يرى أن أصوله قد تأثر بالغنوصية. الأثر الغنوصي الذي وصل بوساطة الصابئة الذين كانوا يقطنون منطقة المستنقعات ما بين واسط والبصرة. وهؤلاء كانوا يسمون المندائيين، وذلك لتمييزهم من صابئة حران.

محي الدين بن عربي (٥٦٠ هـ - ٦٣٨ هـ):

هو محيى الدين بن محمد على بن محمد بن احمد بن عبد الله الطائي الحاتمي صوفي ومتكلم وفقه وأديب ومفسر^(٢٢)، وقد لقب الشيخ بالصوفية الأكبر وقد شهر باسم محي الدين وذلك إن جل لا مصنفاته كانت في التصوف وتفسيراته في الدين، أما ابن عربي دليل على أنه الصوفي المميز بعرويته وليس من العجب لقب بابن عربي، والشيخ الأكبر، ولد بمدينة مرسية في رمضان عام ٥٦٠ هـ^(٢٣)، وقد تربى في صحبة أسرة عرف

(٢١) إحسان ظهير، التصوف الإسلامي المنشأ والمصادر، إدارة ترجمان، باكستان، ط١، ١٩٨٦م، ص ٤٥.

(٢٢) محمود الشويبي، المرجع السابق، ص ٧١.

(٢٣) المصري (نغم الطبيب) ط١٩٤٩، المكتبة التجارية بمصر، الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق إحسان بمجلس،

ج٣، ص ٤٣٥، دار الثقافة بيروت، ١٩٧٤م.

عنها التقوى والورع، أشهر كتبه (الفتوحات المكية "نصو الحكم، والديوان) وتوفي في مساء يوم الجمعة ٢٨ من ربيع الآخر سنة ٦٣٨هـ (٢٤).

مختلف الصوفية وينتمى لقبيلة حاتم الطائي.

ولد ابن عربي بمدينة مرسية الأندلسية سنة ٥٦٠هـ ترعرع فيها وعندها رحال إلى مصر ثم بعدها إلى مكة، لأداء فريضة الحج ثم زاد إذا بغداد وبعدها إلى سوريا ليستقر في دمشق حتى وفاته المنية سنة ٦٣٨هـ جري⁽²⁵⁾.

يعد محي الدين رئيساً للمدرسة وحدة الوجود وقد صراحة نظريات عديدة منها نظرية الإنسان الكامل التي تقوم على أن الإنسان وحده من بين المخلوقات تتجلى فيه الصفات الإلهية⁽²⁶⁾.

أبرز وأهم مؤلفات اشتهر بها: ابن عربي نحو أربعة مئة كتاب تمثلت الفتوحات المكية وفصوص الحكم ذلك من أشهرها: روح القدس، ترجمان الأشواق⁽²⁷⁾.

تأثر ابن عربي بنظرية الفيض الأفلاطونية عند "أفلوطين"، إلا أنه يختلف عنها إذا متأثر أيضاً بن عربي ببعض المصطلحات التي استمدتها من القرآن الكريم وعناصر أخرى مستمدة في أبنادو قليس وأفلاطون وأرسطو⁽²⁸⁾.

السهروردي (-٥٨٧هـ)

هو أبو الفتوح يحيى بن حبشي بن أميرك الملقب بشهاب الدين السهروردي المقتول ولقب بهذا اللقب حتى لا يعدوه شهيداً.

^(٢٤) محمد علي أبو ريان، الحركة الصوفية في الإسلامية، ص ٢٥٦.

^(٢٥) عبد المنعم الحفنى، المرجع السابق، ص ٢٨٦.

^(٢٦) مانع بن حماد الجهنى، المرجع السابق، ص ٢٦٣.

^(٢٧) عبد المنعم الحفنى، المرجع السابق، ص ٢٨٦.

^(٢٨) المرجع نفسه، ٢٦١.

أول مفكر إسلامي يجمع بين الفلسفة والتصوف في مذهب واحد أشهر وأهم كتبه (حكمة الإشراق) وهي العماد الأساس للتعبير عن فكرة الصوفي لديه بعض الكتب المشائية الإشرافية التي تحتوي على المباحث الثلاث (المنطق، الطبيعة، ما وراء الطبيعة) مثال كتاب المطارحات، كتاب اللحات، كتاب المقاومات.

مذهب السهروردي خليط من الفلسفات اليونانية والشرقية والزرادشتية وأفلاطوني ولكنه لا يخلو من ملامح غنوصية صرف (٢٩). الفلسفة الإشراقية عند السهروردي، الله نور الأنوار ومصدر جميع الكائنات فمن نوره خرجت أنوار أخرى هي عماد العالم المادي والروحي والعقول المفارقة ليست إلا وحدات من هذه الأنوار تحرك الأفلاك وتشرف على نظامها (٣٠).

الفلسفة الإشراقية تعتمد على نظرية العقول العشرة الفارابية مختلطة بعناصر مردكية ومانوية ومن هنا نستنبط عناصر الغنوصية، وإذا كان العالم في حملته قدير في إشراق الله وفيضه فالنفس تصل كذلك إلى بهجتها بواسطة الفيض والإشراق فإذا ما تجرد باقي الملذات الجسمية تجل علينا نور إلهي لا ينقطع مدده عنا وهذا النور صادر عن كائن منزلته منا كمنزلة الأب والسيد الأعظم الذي يسمى بلغة الفلاسفة العقل الفعال وبذلك يكون السهروردي متأثر بفلسفة الفارابي عن الفيض بطريقة مباشرة (٣١).

قد توضح بعض الأمثلة المأخوذة من العلاقة الواسعة والمعقدة بين الشيعة والصوفية بعض القضايا التي تناولناها حتى الآن. ففي الإسلام بشكل عام ، وفي الصوفية على وجه الخصوص ، يُدعى القديس وَلِيّاً (اختصاراً لوليّ الله أو خليل الله والقداسة تسمى ولاية. وكما ذكرنا سابقاً، فإن وظيفة الإمام بأكملها في الشيعة مرتبطة بقوة بوظيفة ما يسمى في الفارسية بالولاية.

(٢٩) المرجع نفسه، ص ٢٤٥.

(٣٠) السهروردي: هياكل النور ص ٢٨-٣٢.

(٣١) إبراهيم مذكور، مرجع سابق ص ٥٨.

المصادر والمراجع

- (١) الجابري، تكوين العقل العربي، دار النشر: مركز دراسات الوحدة العربية ، سنة ٢٠٠٩.
- (٢) الغزالي :أبي حامد الغزالي)، الاقتصاد في الاعتقاد، دار المنهاج ، ٢٠١٥.
- (٣) الغنوصية والباطنية، ترجمة رائد الباش، دار الجمل، ألمانيا ٢٠٠٣.
- (٤) جورج سارثون: تاريخ العلم، ج ، ترجمة: ماجد فحري، دار المعارف، ط الأولى ١٩٥٩.
- (٥) حسن ظاظا: الفكر اليهودي: تاريخه وتطوره، دار القلم، ١٩٨٧
- (٦) خزعل الماجدى: كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، دار النشر: مؤسسة مؤمنون بلا حدود ٢٠١٤.
- (٧) طارق إسماعيل كاخيا: الطوائف والعرقيات في سورية، دارالنشر: دار علاء الدين للطباعة والنشر، ٢٠٠٧.
- (٨) فراس سواح: الوجه الآخر للمسيح، موقف يسوع من اليهود واليهودية وإله العهد القديم ومقدمة في المسيحية الغنوصية، دار النشر، دار علاء الدين ،دمشق ٢٠٠٤.
- (٩) محمد عبد الرحمن مرحبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، دار عويدات للنشر: ٢٠١٨.
- (١٠) محمد عمارة : مقام العقل في الاسلام، الناشر ، دار الخير، الطبعة الخامسة، ٢٠١١.
- (١١) نافع البرواري: البدع والهرطقات في القرون الأولى للمسيحية ج ٥، موقع منتديات عنكاو "www.ankaw.com"

(١٢) هانس يوناس: الديانة الغنوصية، ترجمة : صباح خليل الدهيسي ،، دار النشر "بيروت ٢٠١٧،

(١٣) هانز هالم: الغنوصية في الاسلام منشورات الجمل الطبعة: الأولى ٢٠٢١

(١٤) هيجل، تاريخ الفلسفة، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات: ١٩٨٦. (١٥) كليفورد لونجلي، الشعب المختار (الاسطورة التي شكلت انجلترا وامريكا. ترجمة عبده قاسم: الجزء الاول: القاهرة - ٢٠٣

المراجع الأجنبية:

(¹) Larry W. Hurtado one the complexity of Gnosticism, see Lord Sesus Christ Devotion to Jesus in (2005, WMB, Eerdmans publishing, Earliest Chritianity,

(^٧)Schenke, Hans Martin. "The Phenomenon and Significance of Gnostic Sethianism" in The Rediscovery of Gnosticism. E. J. Brill 1978: 2009

(^٧)Wilson, R. McL. "Nag Hammadi and the New Testament", *New Testament Studies*, vol. 28, (1982), .

Gnosticism, Mysticism, and Illuminationism

Abstract:

Gnosticism preceded Islamic Sufism, which emerged in the third and fourth centuries AH. It first appeared among the Greeks in the second or third century BCE and later developed after the rise of Christianity, which confronted it for distorting Christian doctrine. Its roots can be traced to Zoroastrianism and Buddhism, which originated in Persia and India. Gnosticism represents a syncretic religious–philosophical system formed from elements of Christianity, Judaism, Buddhism, and Zoroastrianism. It was later transmitted into Islam under the names *Sufism* and *gnosis*, both of which share an esoteric tendency that views human perfection as attainable through deep spiritual insight. The more one penetrates into the realm of the spirit, the more knowledge one acquires, discovering and mastering it; and as one's gnosis grows stronger, one gains access to the secrets of the universe and life itself.

This divine spark of gnosis and knowledge renders its adherents self-sufficient, believing themselves to have comprehended the mysteries of existence. They even regard Freemasonry, which has dominated the powers of the cosmos—astronomy, economy, and science—as a continuation or manifestation of Gnosticism. According to **Abdurrahman Badawi**, Gnostics believe that when a person attains this level of knowledge, he no longer needs anything external, for he can save himself from all things. This explains their isolation from society and their detachment from sensory experience: they depend solely on their own souls, not on others. This does not apply to all Sufis, but rather to a small group or to the extremists among them. In this sense, man becomes self-sufficient, no longer in need of God or of any external guide. **Sufism**, by definition, is the transition from the

material, sensory world to the spiritual realm. The doctrine of **Unity of Being (Wahdat al-Wujūd)** asserts that man possesses an intellect capable of embodying divine power — that the individual and God are two aspects of the same reality, and that human beings, by their internal and innate capacities, can alter the world according to their own claims.

Thus, Islamic Sufism became linked to the difficult historical conditions Muslims faced during the second century AH — wars, conflicts, and disunity — a harsh material reality that led to an urge to escape into the spiritual world. Reaching such a level of withdrawal from reality into the realm of the unseen and the ideal produced a counter-reaction that contributed to the rise of the **Mu‘tazilite** movement as a rational response to spiritual mysticism and as an appeal to reason.

Keywords: Gnosticism, Illuminationism, Islam, Sufism, Gnosis